أصناف من القواقع والأصداف من شاطئ صور

الأرجـــــوان و القـــــرمـز

كان الفينيقي سباق في مجالات الفنون و الصناعة و قد اشتهرت فينيقيا بتعدد الصناعات فمنها صِناعة الخزفِ ومزج المعادن والنحت والمجوهرات وصناعة العاج وصناعة الزجاج والنسيج ناهيك عن فنون هامة كفن العمارة و البناء و الموسيقى. ومن الصنائع التي راجت على شواطئ لبنان صناعة صيد السمك ولا عجب فاسم مدينة صيدا يرجع إلى جزر سامي مشترك يفيد " الصيد " فقد كانت المراعي في حالة دون الجيدة فلا يعتمد عليها في تربية الحيوانات لذا استعاض الفينيقي بالبحر الكريم بغلاله كالأسماك والأصداف و القواقع. إن صناعة الأرجوان تلتصق وتقترن بالفينيقيين لما لها من علاقة بالبحر. عرف الفينيقيون بهذا الاسم نسبة إلى كلمة إغريقية " فينكس **Phoenix وتعني** الحُمر نسبة إلى اللون الأرجواني، ونجد في اللغات السامية جذر "فَنِقَ" بمعنى تنعُم.أما عن الأرجوان فيستخرج من حيوان بحري من نوع القواقع واليعرف بصدف المريق **(Murex)** وذلك من سائل فيه ذو لون أرجواني و نجده قرب الشاطئ الفينيقي. وتقول الأسطورة الإغريقية أن هيلانة الطروادية عندما كانت تمشي ذات يوم مع كلبها على شاطئ البحر لِتُرَوِحَ عن نفسها عناء الأسر لاحظت أن كلبها، الذي كان يعالج صدفة، قد تلون فمه باللون الأرجواني الغامق.فسرت بهذا اللون وأعجبت به وحملها هذا على أن تقرر في نفسها ألا تقبل بطالب زواج منها ما لم يهديها ثوبا مصبوغا بالأرجوان **(Porphyra)** ومن البديهي أن أنفس الأرجوان في العالم هو الأرجوان الصوري لأن على شواطئ صور تعيش أجود أنواع هذا الحيوان البحري إلا أن كثرة الطلب عليه وحرصا على حفظ هذا الكنز من التلاشي فقد سعى الفينيقيون لاكتشاف مصادر أخرى لصدف الأرجوان أي صدف المريق وقد نجحوا في استيراده من عدة أماكن بعيدة كميناء إسبرطة ومن ضواحي قرطاجنة و يوتيكا كما وجدت بقايا من هذه الأصداف المكسرة في

الميناء البيضاء ويرجع تاريخها إلى ما بين القرن الخامس و السادس عشر قبل الميلاد. ولفظة أرجوان ليست سامية الأصل بل قد تكون هندوأوروبية وقد وردت في النصوص القديمة كلمة "ا رج م ن"ويقال أن أول ثوب مصبوغ بالأرجوان الصوري قدمه هرقل الفينيقي إلى الآلهة عشتروت ولم يبقى من هذا الأثر العظيم سوى الذكريات. إن عملية استخراج القليل من هذه الصبغة وتنقيته لم يكن أمر يسيرا لذا كانت أثمانه غالية فإن الثياب الأرجوانية كما ذكرفي شعر هوميروس "الإلياذة:١٤١/٤-٥ ز وقد ظهر أيضا في العصر الهليني كثياب للملوك و الأمراء وكان أباطرة الرومان يلبسون ثوبا فضفاضا من الأرجوان، ولم تكن كليوباترا المصرية أقل شغفا بالأرجوان من هيلانة الطروادية. كما كانت الأميرات البيزنطيات يلدن في غرف مبطنة بالأرجوان وكذلك كان كل من كاهن مَنْبِج الآرامي وكاهن الإله المُشتَرى (**Jupiter**) يلبسان الأرجوان عنوانا للسلطة الدينية، وما ثوب الكاردينال الكاثوليكي في يومنا هذا إلا بقية باقية من ذلك التقليد القديم. أما كيفية معالجة هذا الصباغ فلا تزال أمرا خفيا فلم تصل إلينا من الروايات الفينيقية شيئ ليشرح ذلك إلا أن المؤرخ " بليني " قد ترك لنا وصفا لصنع هذه المادة فالعملية تبدأ باستخراج السائل الملون من عروق الحيوان وهو حي لأن بموته يفسد هذا السائل الثمين. ثم يضاف إلى السائل قليل من الملح البحري و يترك أياما ثم يرفع على نار خفيفة فيغلي ببطيء وفي أثناء الغليان يجمع الغِثاء مرة بعد مرة و يلقي جانبا و بعد عشرة أيام يكون الصباغ لا يزال سائلا في الخِلْقين (كلمة معربة من اليونانية وتعني المِرْجَل الكبير) ثم يلقى فيه الصوف المراد صبغه ويترك خمس ساعات بعدها يؤخذ ويجفف ويمشّط ثم يلقى به ثانية إليه لكي يكتمل امتصاصه للصباغ ويعرف ذلك عندما يصبح لون الصوف كلون الدم المتجمد حينئذ فقط يكون قد اكتمل صبغه. ولعلو شأنٍ في القرن الأول قبل المسيح فقد تسبب هذا في زيادة الطلب على الأرجوان فحاول الصناع الإيطاليون تقليد الصنّاع الفينيقيين. و لما جاء العهد البيزنطي كانت احتكارا لقلة من الصناع وقد تلاشت هذه الصناعة بسقوط الإمبراطورية البيزنطية أما في إنكلترا فإن هذه الصناعة ظلت شائعة حتى القرن السابع عشر الميلادي. والشيء بالشيء يذكر فلم يقف اللبنانيون القدامى عند صناعة صباغ الأرجوان بل أيضا برعوا في صنع صباغ القرمز وهذه اللفظة أصلا إما فارسية أو أرمنية وقد أدخلت إلى اللغة الإنكليزية من العربية بلفظة (**Crimson**) وكان هذا الصباغ وهو صباغ القرمز يصنع من حشرات تعيش على شجر السنديان (الكتاب ٣ الفصل ١٦ القسم الأول للمؤلف ثيوفراستوس) و هذه الحشرة وهي من رتبة نصفي الأجنحة فصيلة القرمزيات يتم تصنيعها بتجفيفها ثم إذابتها في الحامض فتكسب السائل لونا قرمزيا. وقد اهتم الفرس ومن بعدهم الأرمن اهتماما بهذه الحشرة لغاية اقتصادية.